سمات المعجمات اللغوية العربية
وخصـــائصها المنهجيـــة

أ.د. رشيد عبدالرحمن العبيدي
جامعة صدام للعلوم الاسلامية

الملخـــص

هذا الموضوع يكشف عن السمات والخصائص المنهجية التي تميز بهـا المعجم العربي ، خلال عصور التأليف اللغوي عند علماء العربية ، منذ بـــدء التفكير في وضـــع معجـــم عربي يضـــم مفردات اللغـــة العربية وتفســـيرها ، والاســتشهاد بكلام العرب نثره وشعره : في توضيح دلالات الكلمات العربيـــة وضعا وسياقا . ومن المعلوم ان ابن عباس قد وضع اللمسات الاولى للمعجـــم العربي حين كان يسأل عن مفردات القرآن الكريم ، ويطلـــب منه إعطـــــاء دلالاتها ، والشواهد التي وردت في لسان العرب في استعمالها ، ثم تلت ذلك عملية تأليف اول معجم عربي في القرن الثاني الهجري ، وهو الجيم لابي عمرو الشيباني (٢١٠هـ) ومعه او بعده كتاب العين للخليل بن احمـــد الفراهيدي : (١٧٥هـ) ، ثم تلت هذين المعجمين مجموعة من المعجمات العربية ـــ على وفـــق مناهج معجمية مختلفة ـــ كمدرسة الالفبـــاء ، ومدرسة المخارج الصـــوتية ، ومدرسة الموضوعات والمعاني ، كالتقفية للبندنيجي : (٢٨٤هـ) ، والجمهـــرة لابن دريد : (٣٢١هـ) والصحاح للجوهري (٣٩٨هـ) وغيرها من معجمـــــات الالفباء ، وكالتكملة للخارزنجـــي (٣٢٥هـ) والحصائل للبخـــاري (٣٤٥هـ)

والتهذيب للازهري : (٣٧٠هـ) وغيرها من معاجم مخارج الاصوات ، وكالغريب المصنف لابي عبيد : (٢٢٤هـ) والمخصص لابن سيده : (٤٥٨هـ) وغيرهمـا من معجمات المعاني والموضوعات •

ولقد كان المعجمي العربي يحاول في منهجه الابداع والجدة في منهجيته وخطة رسم معجمه ، فلا يرى القارىء اتفاقا في اصـول هذه المعجمـات • وطرائق التفسير ، ونظام ترتيب المواد ، بل يجد ان لكل مؤلف اسـلوبه الخاص ، ونهجه المتميز • كما يدلّ على انّ الاصالة والابتكار سمة مميزة لكل واحد منهم ، فاذا كان الخليل قد وضع معجمه مرتبا على المخارج ، مع تقليب المواد ، والاشارة الى المهمل والمستعمل من كلام العرب ، فقد اخذ ابن دريـد (بالالفباء) ، واكد فكرة التقليب ، ووضع ابن فارس كتابه على (الالفباء) ولكنه سار على منهج في ترتيب المواد ، لم يتبعه فيه احد من بعده ، ولا كان مسبوقا به •

وهكذا كان المعجم العربي يمثل صورة حيّة صادقة عن تفكير عـربي اصيل لا تقليد فيه ، ولا كان متأثرا بما للامم الاخرى من تأليف في هـذا المضـمار •

تمهيـــد :

المعجم اللغوي تصنيف لغوي يتميز من سائر التصنيف اللغوي عنـــد الباحثين العرب بانه وعاء يحصر في داخله مفردات اللغة ، وتفسير دلالاتهـــا العرفية والاجتماعية والسياقية عبر عصور الاستعمال حتى نهاية القرن الرابع الهجري الذي يعده الباحثون منطلقا لفساد الالسنة العربية ، وبدء التوليـــد والاستحداث ، بتأثير الاختلاط والاحتكاك بالامم غير العربية • ودخـــول الغريب والمُعَرَّب وما يجري مجراها في اللسان العربي •

ومنذ تنبّه العربي الاول على لغة القرآن الكـريم ، والمفـردات التـي استعملها كتاب الله ، والدلالات التي تضمنتها الاستعمالات القرآنية ، بـين الحقيقة والمجاز والمعاني البعيدة ، والمعاني القريبة ، وغرابة اللفظ ، وندرته او شيوعه الى غير ذلك من الوجوه والصور ، كانت هناك نزعة قوية في نفوس المعنيين بلغة الكتاب العزيز لمعرفة اسرار تلك الاستعمالات ، وضبط صـــور الدلالات ، وكشف حقيقة الاغراض التي هدف اليها اللفظ القرآني من جهـة التعبير وما يحمل من معان ودلالات من جهة اخرى •

فقد وقف الصحابة الاوائل على جملة كبيرة من المفردات القرآنية لـــم يألفوها في اســتعمالاتهم اليومية ، كلفـظ (فاطـر) و (فاكهة) و (أب) و (ضيزى) و (جاهلية) وغيرها ، حتى اننا لنجد ابن عباس (رضي الله عنه) يقول : ماكنت اعرف فاطر السماوات والارض حتى اتى اعرابيان مختصمان

في بئر فقال احدهما : (انا فطرتها) ، أي : أنا ابتدأت حفرها[1] ، ومن هنا عرف اللغويون هذا المعنى وتداولوه في تفسيراتهم اللغوية ، فقال ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : انا اول من فطر هذا ، اي : ابتدأه .... والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به .[2]

وكان الحديث النبوي يحتمل جانبا آخر من جوانب الطرافة والندرة في مفردات اللغة واستعمالاتها وتراكيبها ، من نحو قوله صلى الله عليه وسلم [خضراء الدمن] وقوله صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يُهَوِّدانه او يُنَصِّرانه او يُمَجِّسانِهِ ...] ، وغيرهما مما دعا الصحابة (رضوان الله عليهم) ، ومن وليهم من التابعين ـ رحمهم الله ـ يتابعون التفتيش عن المعاني واختلافها وتنوع وجهاتها الدلالية ، ففي مادة (خضر) في المعجمات جملة كبيرة من دلالة (خضراء) ، ففيها معنى اللون بين الحوة والحتمة ، ومعنى الغضاضة والنعمة الهنيئة واللون الضارب الى السواد ، وعبر عنه القرآن بقوله تعالى : « مدهامتان »[3] فقال المفسرون : خضراوان ، لانهما يضربان الى السواد من شدة الري ـ والخضراء ، أي السواد المظلم ـ والخضراء البقول والثوم والبصل والكراث والنبات والمنبت ... وغيرها من الدلالات التي تحملها اللفظة[4].

وكذلك قال حديثه صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على ...] ،اهتماما كبيرا من اللغويين والمعجميين ، فتناولوا لفظ (فطرة) و « يهود » و « ينصر »

---

(١) اللسان (فطر) : ٣٦٢/٦ .
(٢) اللسان : (فطر) ، والتاج : (فطر) .
(٣) الرحمن : الآية /٦٤ .
(٤) ينظر : الصحاح (خضر) واللسان (خضر) .

و « يمجس » ومدلول الحديث جملة ، واختلفت اتجاهات المفسرين والمعنيين بلفظة الحديث في تفسير المفردات الواردة فيه ، حتى غطت مساحات كبيرة من معجمات اللغة ، فضلا عن كتب غريب الحديث(٥) .

لقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واحاديثه صلى الله عليه وسلم تأثير كبير في تنشيط الفكر اللغوي عند معاصري النبي الكريم ولاسيما صحابته ومن تبعهم ، إذ ظهر حرصهم على بقاء اللسان العربي سليما نقيا من الزلل والخطأ واللحن في القرآن الكريم ، وفي محاوراتهم وكلامهم امام النبي صلى الله عليه وسلم ولقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نبّه متكلما امامه زلّ في تعبيره ، فقال لصحابته [ارشدوا اخاكم فقد ضلّ](٦) . وكانت الامة قد اقتدت بهذا التوجيه ، وجعله شريعة يؤتى بها ، فقامت حكما ترصد ألسنة الناس ، وتقوّم كلامهم ، وتعدِل ما يقعون فيه من زيغ وخطأ في التعبير ، ولحن في كتاب الله ــ سبحانه ــ فكانت هذه البوادر الاولى للدرس اللغوي ، وهي بوادر تتصل بالقرآن والحديث ، وتنطلق من لغتهما ، والحرص على التزامهما لسانا عربيا فصيحا بعيدا عن الزلل واللحن والخطأ ، لان ذلك قد يؤدي الى الكفر والضلالة ، كما حصل لذلك القارىء الذي جر لفظ (رسوله)(٧) من قوله ــ تعالى ــ « ... أن الله بريء منَ المشركين ورسوله »(٨) وحقه ان يُرفَع أو يُنصَبَ بحسب سلامة التعبير القرآني وأصول اللغة .

ومن هنا كانت اقوال الصحابة وتابعيهم في هذا المضمار ، تمثل بدء التفكير اللغوي في الدراسات اللغوية العربية ، والارهاصات الاولى لنشأة

---

(٥) انظر الحديث في الفائق : ٣/١٢٦ــ١٢٧ . وانظر الفائق (فطر) و (مجس) والنهاية (فطر) والمحكم (فطر) واللسان (فطر) ٦/٣٦٣ــ٣٦٥ (بولاق) .
(٦) الخصائص : ٢/٨ ومعجم الادباء : ١/٨٢ (ط مار جليوث) .
(٧) انظر : لغة الضاد ج٢/١٣٧ سنة ١٩٩٩م .
(٨) التوبة / ٣ .

علم اللغة في تاريخ التأليف اللغوي والبحث في اللغة ، وقد اثر عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله : (تعلموا الفرائض والسنن واللحن ، كما تعلمون القرآن) ، قال القالي : (واراد باللحن : اللغة[٩] وهو رأي الاصمعي)• ونقلت لنا كتب الاخبار والادب والتراجم اقوالا جمة في الحث على الاهتمام بالعربية وألفاظها واساليبها وتعلم قواعدها ، نسبوها الى الخلفاء الراشدين الاربعة والى الصحابة ــ وغيرهم ــ كابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم[١٠]•

كانت هذه الاهتمامات الواضحة من مسؤولي الامة العربية ، وأساليبها وتراكيبها وصحة النطق بها مدعاة الى توجه المعنيين بها الى مشافهة اهل اللغة ، والناطقين بها وتوخي الفصحاء منهم ، ليوازنوا بين ما جاءهم به القرآن الكريم من لغة الاعجاز ، وما تكلم به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بين ظهرانيهم ــ من المجازات البارعة ، والاستعمالات الجديدة ، والفصاحة العالية وهو القائل عليه الصلاة والسلام : [أنا أفصح العرب بيد اني من قريش ، وأني رُبِيتُ في بني سعدِ بنِ بكرٍ ، فأتى لي اللحنُ] •• هذا من جهة وبين ما يتكلم به العرب في بواديهم ، وما ينظمون من شعر ، وما يتداولون به من حوارات تنم عن حسن تصرف بلغتهم واساليبها البلاغية المتنوعة من جهة اخرى ، وذلك ان القرآن الكريم قد تحدى فصحاءهم ، ومصاقع خطبائهم ، وامراء البيان فيهم بان يأتوا بسورة من مثله او بعشر سور مفتريات ، فلم يجدوا بُدّاً من التسليم له والاعتراف بعلو مقداره وبلاغته المعجزة فلما لم يستطيعوا على محاكاته ، قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » [سورة الاسراء : ٨٨] •

---

(٩) الامالي : ١/٥ (ط : دار الكتب) .

(١٠) ينظر : طبقات الزبيدي : ص ٣ فما بعد ونور القبس ٢ ــ ٣ والطبري ٣ / ١٢٩ .

والتحدي كان من القرآن لابناء الجزيرة الفصحاء منهم والبلغاء ، ولم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه مثل هذا الموقف القرآني ، بل كان يظهر قدرته التعبيرية وفصاحته المثالية امام اصحابه ، فيعجبون بفصاحته ويسلمون له ببلاغة الكلمة ، وعلو الكعب في اسلوبه ، ولذلك لم يجرب عليه لحن ، ولم ينتبه احد على خروج عن اصول الكلام العربي ، او المخالفة لما عليه جمهور العرب من صحة التركيب وجمال الاسلوب ، وبلاغة التعبير وصور المجازات ، ومن هنا كان الباحث العربي قد شغل بلغة القرآن يقابلها بلغة فصحاء العرب ؛ ليجد الصلة بينها وبين القرآن الكريم ، وليدرك عناصر التحدي فيها للسان العربي ، ولم يكن التحدي يتجاوز العربي ولغته ، فليس للحديث النبوي مكان بين المتحدّي والمتحدّى ، ولذلك لم يلتفت الباحث العربي الى لغة الحديث ، ولم يعمد الى مقابلة النص الحديثي بالنص القرآني ، ولذلك ايضا لم يحاول اللغويون إدخال النص الحديثي في ضمن شواهدهم ، وادلتهم التي اعتمدوها فيما بعد بالدراسة النحوية(١١) ، فكثر لذلك الشاهد الشعري والشاهد المثلي ، وكلام الفصحاء ومحاوراتهم ، وقل الشاهد الحديثي ولم يعتمد إلا في رفد المعجم اللغوي بمفردات الحديث ، ودلالات الفاظه وغريبه ونادره ، وهذا هو السر في كون الشاهد الحديثي قليل الورود عند علماء النحو العربي(١٢) ، كابن ابي اسحاق (١١٧هـ) وعيسى بن عمر (١٤٩هـ)، والخليل بن احمد (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) ، وهذه الحالة هي التي تفسر لنا قلة ورود الحديث الشاهد في كتاب سيبويه ، اذ لم تتعد نصوص الحديث اكثر من سبعة احاديث .

ولكن المعجميين لم يهملوا النصوص الحديثية ، بل استكثروا من ايرادها مستفيدين من الفاظها ، وغرائبها ، وتفسير دلالاتها ومن هنا كانت كتب غريب الحديث مصادر مهمة لرفد المعجم العربي بالمواد اللغوية .

---

(١١) مقدمة كتاب : المعجم اللغوي التاريخي : فيشر ، ص ٨ .
(١٢) انظر كتابنا : الازهري في كتابه تهذيب اللغة ــ رسالة دكتوراه ــ ص ٣١٨ .

ولقد توجه العربي الباحث الى البادية لملاقاة اهلها ، ورواية اللغة عنهم ؛ ومشافهتهم ، كما حفل العلماء الاوائل خلال القرن الثاني الهجري فدونوا اللغة في رسائل متنوعة ، وموضوعات مختلفة في الحيوان والنبات والانسان والطبيعة والجماد والانسان وعلاقته بظواهر الكون ، ومن خلال هذه الاهتمامات الاولية برزت ظواهر لغوية ، لم تكن مقصودة من الباحث اللغوي، ولم تكن من اهدافه المبدئية ، ولكنها فرضت وجودها واثبتت حضورها فيما جمع ودون من اللغة ويمكن رصد الظواهر الاولية من عمل جامع اللغة بما يأتي :

١ ــ تبين لديه ان القبائل العربية ليست سواء في معايير الفصاحة فهناك الفصيح ، وهناك الافصح ، وهناك الرديء والاردأ ، والغريب والنادر ، والكثير الشائع والقليل •

٢ ــ وتبين لديه ان ثمة لهجات مختلفة ، قد تتعاور المفردة الواحدة والصيغة والبنية ، وقد تختلف في التراكيب والجمل ووجوه الاعراب ودلالات الالفاظ ، والتبدلات الصوتية •

٣ ــ وتبين لديه ان ثمة مفردات تختلف ابنيتها وتتفق معانيها ، وهو ما عرفته العربية بـ (الترادف) •

وان ثمة مفردة واحدة ، تختلف معانيها ، وتتعدد دلالاتها ، وهو ما عرفته العربية بالمشترك اللفظي •

وان ثمة مفردة تحمل المعنى وضده ، وهو ما يعرف بالاضداد وان ثمة مفردات تحمل دلالات متباينة ، كالارض والسماء والرجل والمرأة •

٤ ــ وتبين لديه ان العربية لغة اشتقاق وتوليد ، فالمادة اللغوية تتعدد طرق الاشتقاق منها ، وتتنوع الصيغ بحسب مراد متكلم اللغة كالافعال ، وصيغ الاسماء ، والتجرد والزيادة وغير ذلك مما يسم اللغة بسمة التوسع والنماء في اصل كيانها •

٥ ــ وتبين لديه ان العربية تأخذ وتعطي ، كسائر اللغات الحية ، ففيها من المفردات ماهو غريب ، ودخيل ، ومعرب وان العربي استعمل مفردات وقعت اليه من لغات اخرى وان العربية اشتركت في مفردات وجدت في اصل مادتها اللغوية ، كما وجدت في لغات اخرى غير عربية ، وهذه الحالة نبهت الباحث اللغوي العربي على العناية بهذه الظاهرة ، وافراز ما كان عربيا اصيلا من فحص لغته ، وما كان دخيلا عربيا ، ومن هنا ــ ايضا ــ ظهر في البحث اللغوي ما عرف بالاعجمي والمعرب مما ادى الى استحداث طريقة التنقيح والتهذيب ، وتميز الفصيح من غير الفصيح، وكانت هذه المسألة شاغلة لاذهان المعجميين الاوائل ممن وضعوا كتب (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (نوادر اللغة) و(غريب اللغة)، كما كانت شاغلة علماء المعجمات العامة ، كالخليل حين وضع معجمه الكبير ، وسماه (العين) وكأنه يشير بهذا العنوان الى الاهتمام بـ (عين) اللغة ، ومحض الصحيح منها ، وكأبي عمرو الشيباني الذي وضع معجمه (الجيم)، وسماه بهذا الاسم، وهو يقصد الى معنى (الديباج الحسن)(١٣) وكتسمية ابن دريد (٣٤١هـ) كتابه (بالجمهرة) وهو يريد جمهرة لغة العرب ، وكتسمية القالي (٣٥٦هـ) كتابه (البارع) ، ويريد انه بارع في جمع الصحيح من اللغة ، ثم تسمية الازهري (٣٧٠ هـ) كتابه بـ (تهذيب اللغة)(١٤) ، ويعني به تهذيبها مما داخلها من الغريب والدخيل ، وما ليس من محض العربية .

وكتسمية البشتي الخارزنجي (ت ٣٤٨هـ) معجمه بـ (التكملة) قاصدا بها تكملة ما فات علماء المعجم من صريح اللغة وفصيحها ، وكتسمية ابي الازهر البخاري (٣٢٥هـ) كتابه بـ (الخصائل) يريد به تحصيل مالم يستطع تحصيله

---

(١٣) انظر : المزهر : ٤٦/١ والقاموس المحيط : ٩٤/٤ (الجيم) وتاج العروس (جيم) .

(١٤) انظر دراستنا عن تهذيب اللغة ــ رسالة دكتوراه ــ ص ١٠٤ فما بعد .

من كان قبله من اللغويين[١٥] . وسمى الجوهري (٣٩٨هـ) كتابه المعجمي بـ (الصحاح) قاصدا الى انه اورد فيه ما كان صحيحا من اللغة[١٦].

وكذا يقال في مجمل (اللغة) لابن فارس : (٣٩٥هـ) و (مقاييس اللغة) له ـ ايضا ، و (المحيط) في اللغة للصاحب : (٣٨٥هـ) و (المحكم) و (المخصص) وهما لابن سيده : (٤٥٨ هـ) والموعب لابن التياني (٤٩١ هـ) حتى كان (لسان العرب) لابن منظور (٧١١ هـ) و (القاموس المحيط) للفيروزآبادي (٨١٧هـ) فـ (تاج العروس) للزبيدي : (١٢٠٥هـ) وغيرها ، وجميعها تضرب على وتر واحد ، وهو تنقية اللغة العربية من الدخيل والغريب كما يتضح ذلك من تسميتها ، او من مقدمات مثل هذه المعجمات .

فقد اشار الجوهري مثلا ـ الى خروجه الى البادية ليجمع الفصيح والصحيح من كلام العرب ، وعمد آخرون الى جمع ما صح واشتهر من اللغة من معجمات من كان قبله ، يقول الفيومي (٧٧٠هـ) في (المصباح المنير) الذي شرح فيه غريب شرح الوجيز للرافعي : اضفت اليه زيادات من لغة غيره ، ومن الالفاظ المشتبهات ... وقيدت ما يحتاج الى تقييده بالفاظ مشهورة ، وجمعت اصله من نحو سبعين مصنفا مطولا ومختصرا)[١٧].

وحين وجد ابن منظور ان اصول المعجمات التي عنيت بالفصيح واهتمت بالصحيح من اللغة خمسة كتب ـ كما يرى ـ وهي:تهذيب الازهري ، وصحاح الجوهري ، والحواشي عليه لابن بري : (٥٨١هـ) ، و (المحكم) لابن سيده (٤٥٨هـ) و (النهاية) في غريب الحديث ، لابن الاثير : (٦٠٦هـ) عمد اليها ، وافرغها في كتابه (اللسان) ولم يحاول ان يضيف اليه شيئا من غيرها إلا تعليقاته الخاصة وجملة قليلة من الفوائد التي وقعت حواشيَ على الاصول نفسها او على بعض الكتب التي بين يديه ، وهو يشير خلال اللسان الى ذلك

---

(١٥) ينظر : معجم الادباء : ٤٧/١٧ ، وثمار القلوب للثعالبي : ٢٤٧ .
(١٦) انظر : معجم الادباء : ٩٩/١ .
(١٧) مقدمة المصباح المنير ، وانظر كشف الظنون ١٧١٠/٢ .

ويقيد ما ينقله باسم المحشّي ، لكي لا يخلط القارىء بين اصل المواد التي استقاها من المصادر الاساسية والعبارات التي اضافها ـ على قلتها ـ من الحواشي ، ويصدر مثل تلك الحواشي بـ (قال محمد بن منظور) او (قلت : ورأيت حاشية ..) او ما اشبه ذلك .

ولعل ابرز ما ننبه عليه في هذا البحث هو ان المعجم العربي قد توزع منذ البداية على مناهج تأليفية مختلفة ، اصبحت فيما بعد مدارس ، وكان التوزيع المبكر هو :

١ ـ الموضوعات والمعاني ، كما نرى ذلك في عمل ابي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في (الغريب المصنف) ، وسار على نهجه الثعالبي (٤٢٨هـ) في (فقه اللغة) وابن سيده في (المخصص) .

٢ ـ الالفباء ، كما ترى في عمل الشيباني (٢١٣هـ) في كتابه (الجيم) حين جعل صدر المادة اساسا ، و (التقفية) للبندنيجي : (٣٨٤هـ) متخذا قافية المادة اساسا ، ومن هذين الاساسين خرجت مدرسة الباب والفصل عند الفارابي (٣٥٠هـ) والجوهري (٣٩٨) ثم ابن منظور (٧١١هـ) ثم القاموس للفيروز (٨١٧هـ) ثم التاج للزبيدي (١٢٠٥هـ) .

واخذ (بالالف باء) كذلك ابن دريد (٣٢١هـ) في جزء من منهجه وابن فارس في كتابيه المذكورين ، بطريقة فاذة لم يسبقه فيها احد ولم يسايره مَن بعده فيه . وتطورت هذه المدرسة عند الزمخشري (٥٣٨هـ) في (الاساس) والفيومي في (المصباح) . فكان منهجهما التزام الحرف الاول فالثاني فالثالث في الترتيب .

٣ ـ الطريقة الصوتية ، وهي التي نهض بها الخليل (١٧٥هـ) في (العين) وسايره من بعده جملة من علماء المعجم العربي ، وقد ذكرنا اسماءهم في ما مضى ، وكان آخرهم ابن سيده في (محكمه) ، والمهم في طريقة العين انه

وضع لنفسه منهجا كان اساسا لمدرسة معجمية اربعة قرون من بعده فقد اسس منهجه على :

١ ــ النظر في الثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي .

٢ الاخذ في التقليب : الثنائي الى مادتين : قرّ ورقّ ، والثلاثي الى ست ، فرد ــ فدر ــ رفد ــ درف ــ دفر ــ ردف والرباعي الى اربع وعشرين والخماسي الى مئة وعشرين وهكذا .

٣ ــ الاشارة الى المهمل والمستعمل في كلام العرب .

الاصالة في العمل المعجمي

تعد مصادر المعجم العربي تلك الرسائل اللغوية التي عمل اللغويون الاوائل على وضعها ومنهم مؤلفو المعجمات انفسهم ، فأبو عمرو الشيباني عمل على جمع اللغة ، ووضع الرسائل فيها ، ولكنه مع ذلك وضع معجما مهما يعد من اوائل المعجمات اللغوية العربية ان لم يكن اول معجم ، قبل (العين) للخليل بن احمد ، فقد وجد ابو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني بين يديه جملة من رسائل اللغة ، كما وجد الطريق ميسورا الى عمل فهرسة للمواد اللغوية التي جمعت لديه من سماعاته ومدوناته ومصادره الاخرى ، ملتزما الترتيب الالفبائي الذي وضعه النصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ) ، وعمله هذا يعد عملا اصيلا مبتكرا لم يسبقه فيه احد ، فوضع كتاب الجيم ، يفسر فيه هذه المواد اللغوية ويستشهد لها بكلام العرب شعرها ونثرها .

ولقد اتسم عمله بشيء من النقص ، لانه جديد في بابه ، فقد اعتمد على الحرف الاول في الترتيب وفسر المادة تفسيرا لغويا صرفا بما ينقله فيها من كلام العرب دون ان يعنى بالجانب الحضاري لدلالة الالفاظ وتطورها .

اما الخليل فقد ابتدع منهجا جديدا فيه الشيء الكثير من الاصـــالة والابتكار ، وعلى الرغم من انه لم يستطع التخلص من الاتجاهات اللغويـــة الصرف في تفسير المواد ، فان معجمه (العين) لم يخل من الاشارات الحضارية التي تعكس حال اللغة عبر حياتها الطويلة من عصر فحولتها حتى وضعه المعجم.

ولقد حاول الخليل ان يتميز بنظام المخارج في ترتيب حروفه[١٨] وان يجد لنفسه منهجا رياضيا دقيقاً يبني عليه ابواب الكتاب وفصوله ، فجعل المواد على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، والتزم نظام التقليب الذي ينتج عنـه في الثنائي مادتان ، وفي الثلاثي ست مواد ، وفي الرباعي اربع وعشرون مادة ، وفي الخماسي عشرون ومئة مادة[١٩] ، ثم سار في اول كل باب الى ما اهمل من المواد وما استعمل منها في كلام العرب ، وهذا النظام الرياضي لا ينطبق علـى اية لغة غير العربية .

وكان لمدرستي « الجيم والعين » اثر كبير في الحركة المعجمية خلال القرن الثالث ، ثم التي تلت ، غير ان المعجميين ، لم يجدوا محيصا من ان يضـــعوا لانفسهم ما يميز شخصياتهم ، ويطبع اعمالهم بطوابع مختلفة متنوعة ، تنم عن الاصالة التي يتمتع بها كل معجمي منهم .

فاليمان البندنيجي (٢٠٠هـ ـــ ٢٨٤هـ) ، وضع كتابه (التقفية) معتمـدا على (قافية المادة اللغوية المفسرة) مخالفا الشيباني ، في حين جعل الشـيباني الترتيب الالفبائي أسلوبا له في ترتيب الابواب ولم يراع في ترتيب المـواد الحرف الاول او الثاني للمادة اللغوية وان كان عمله في الجملة يدخل ضـمن التأليف في انواع اللغة من المعجمات العامة .

---

(١٨) ادعى كاتب مادة (خليل) في دائرة المعارف ان الخليل قد تأثر في طريقـة ترتيب الحروف بالسنكريتية ، وهو ادعاء لم يؤيده سند او نص .

(١٩) انظر مقدمة العين ، ومقدمة تهذيب اللغة للازهري . وما تقدم مـــن هذا البحث .

وحين وضع ابن دريد (٣٢١هـ) كتابه الجمرة ، وجد في طريقة الخليل الرياضية دقة ، فاحتذى الخليل في الثنائي والثلاثي والرباعي ونظام التقليب ، وتفسير ما استعمل من المواد من كلام العرب ولكن شخصيته المتميزة ، واتجاهه العلمي الخاص فرض عليه ان يخالف الخليل في مسألة جوهرية من منهجه ، وهي : ترتيب الحروف على المخارج ، فهجر هذا الترتيب ، والتزم نظام (الالفباء) فكان كتابه (الجمهرة) متميزا بأسلوبه الخاص فضلا عن تميزه بكثير من المفردات والمواد والصيغ التي لم يوردها الخليل ولاسيما المفردات اليمانية .

وحاول المعجميون الذين قلدوا الخليل في منهجه ان ينفردوا بصفات علمية خاصة ، فوضع الازهري (٣٧٠هـ) (تهذيب اللغة) الذي حاول فيه ان يلتزم نظام الخليل بجملته ، إلا انه انفرد بأنه فصل المهموز عن المعتل ، وأودع كتابه سماعاته ونقوله من كتب العلماء ، واراءه الخاصة في اللغة ، وتمييز الغث من السمين ، وإخراج العربي الفصيح وفصله عن المعرب والدخيل ، ونقد العلماء ، فجاء (تهذيبه) بما يزيد على كتاب (العين) بخمسة اضعافه ، علما ولغة .(٢٠)

ووضع البشتي كتابه (التكملة) ليكمل فيه ما فات الخليل ، وابو الازهر البخاري (حصائله) ليحصل فيه ما فاته ايضا ، وتمييز كل واحد منهما بصفات لم يتميز بها الاخر .(٢١)

ويمكن ان يقال مثل ذلك في (بارع) القالي (٣٥٦هـ) و (محيط) ابن عباد (٣٨٥هـ) و (محكم) ابن سيده (٤٥٨هـ) . وعند ابن سيده تنتهي مدرسة العين ، ويختفي اثرها عند المعجميين .

---

(٢٠) انظر مقدمة تهذيب اللغة / ج١ .

(٢١) الازهري في كتابه : تهذيب اللغة : رسالة دكتوراه ، لكاتب البحث .

ويحاول الفارابي (٣٥٠هـ) في (ديوان الادب) والجوهري (٣٩٨هـ) في (الصحاح) ان يأتيا بطريقة جديدة في وضع المعجم العربي لم يسبقا اليها[٢٢] ، فيستفيدا من ترتيب الحروف على (الالفباء) ويلتزما نظام الباب وهو (قافية المادة) كما هي طريقة البندنيجي ، والفصل هو (صدر المادة) كما هي طريقة الشيباني ، وبهذه الطريقة المتميزة يظهر كتاب (الصحاح) ، ويغرق الجوهري في الدقة ، فيجعل للحرف الوسط من المادة مكانا في ترتيب مواد الفصل • وبذلك تصبح هذه الطريقة الفاذة في عالم المعجمات بدعا جديدا يحتذيه بعده جملة من المعجميين كالرازي (٦٦٠هـ) في (مختار الصحاح) والزنجاني في (تهذيب الصحاح) وابن منظور (٦٣٠هـ ــ ٧١١هـ) في (لسان العرب) والفيروزابادي (٨١٧هـ) في (القاموس المحيط) والزبيدي (١٢٠٥هـ) في (تاج العروس) •• ولكل من هؤلاء طريقته الخاصة المتميزة في تفسير المواد واستدراكاته ونقد اللغويين ، وتصويباته ، وتصحيح الخطأ ، والاعتماد على مفردات الحضارة والتراث ، حتى نكاد نستطيع ان نقول : إن بعض هذه المعجمات عنيت بألفاظ الحضارة اكثر من عنايتها ، بالتفسير اللغوي البحت ، كما ترى في (التاج) •

ولم يرق لمعجميين آخرين ان ينهجوا في معجماتهم منهج هذا وذاك ، فسنوا لانفسهم مناهج اخرى هي صورة جديدة من صور الاصالة ، والاعتداد بالشخصية فترى محمد بن تميم البرمكي يجرد (الصحاح) من (الباب والفصل ويسلك طريقة الترتيب الالفبائي بالنظر الى صدر المادة اللغوية ثم ما يليها ثم الحرف الثالث) ، وهي طريقة ميسرة سهلة تجنب الباحث في المعجم العربي اتْعابَ التفتيش والبحث الطويل ، اذ بطريقة البرمكي يمكن الاهتداء الى المادة اللغوية باسرع وقت ، لقد وجد المعجميون جدوى هذا المنهج فوضعوا معجماتهم على منواله ، فكان (اساس البلاغة) للزمخشري (٥٣٨هـ)

---

(٢٢) مقدمة الصحاح : الجوهري : ج١ والصحاح ومدارس .
المعجمات لأحمد عبدالغفور عطار .

و (المصباح المنير) للفيومي (٧٧٠هـ) وغيرهما من معجماتنا التراثية تسلك هذا المنهج الميسر ، وسارت هذه الطريقة سيرورتها في معجماتنا المعاصرة ، فأخذ بها الشرتوني والبستاني ومعلوف ورشيد رضا ومحمد محي الدين وغيرهم في ترتيب (اقرب الموارد) و (معجم متن اللغة) و (المنجد) و (ترتيب اللسان) الجديد ... وغيرها .

ويعطينا ابن فارس (٣٩٦هـ) مثالا رائعا للاصالة وقوة شخصية اللغوي العربي ، حين يصنع كتابيه (المجمل) و (مقاييس اللغة)[٢٣] فيخالف بهما كل المناهج المعروفة للمعجميين اذ نراه يلتزم ترتيبا خاصا فاذا ، فيجعل المواد ثنائيا في الخط ثلاثيا في الحقيقة ، والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، ويتمسك بمراعاة الحرف الذي يعقد عليه الباب ثم الحرف الذي يليه في الترتيب الالفبائي فاذا مر على سائر الحروف حتى الياء ، بدأ بالهمزة فالباء فالتاء حتى يصل الى الحرف المعقود عليه الباب ، وهذه الطريقة تبدو عويصة للوهلة الاولى فاذا تعلمها مراجع المعجم يسهل عليه الاهتداء الى المادة اللغوية .

ولقد بقيت هذه الطريقة مسجلة باسم ابن فارس ولم يجاره فيها احد ممن جاء بعده .

ولم تقف مناهج المعجميين على الفهرسة والتبويب المعتمد على الحرف ، بل تعدت ذلك وضع اللغة في موضوعات ومعان ، كما هو الحال عند ابي عبيد (٢٢٤هـ) في كتابه : (الغريب المصنف) ، وابن سيده في كتابه (المخصص) وهذا النوع من مناهج المعجميين يدل على الموسوعية في تفكير اللغويين العرب والاصالة في منهج التأليف اللغوي عندهم ، وهذا النوع من التصنيف المعجمي يمكن ان يوضع في ما يعرف (بالحقول الدلالية) في العصر الحاضر .

---

(٢٣) طبعه عبدالسلام هارون طبعتين . وطبع من المجمل جزؤه الاول . وطبع بعد ذلك طبعة محققة بعناية زهير عبدالمحسن سلطان ، ونال به شهادة الماجستير تحت اشرافي من معهد الدراسات العربية .

وتميزت بعض المعجمات بالجانب الحضاري من اللغة ، فكانت هنـاك معجمات تعنى بالنبات ، واخرى بالحيوان ، وثالثة بالمعرب والدخيل ، ورابعة بألفاظ الفقه ، وخامسة بألفاظ الطب والصيدلة .. وهكذا .

وهذه المعجمات تصنف في باب (المعجمات الخاصة) التي لا تتنـاول عامة اللغة .

ولعل من ابرز هذه المعجمات كتاب : مفردات ابن البيطار في الفاظ الطب، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ، ومختصر المزني في الفاظ الفقه الشافعي ، والمعرب للجواليقي ، والبلدان لياقوت الحموي ، وغيرها .

ان المعجم العربي لم يحتج الى جهد عقلي بقدر ما يحتاج الى الجهـد العضلي والوقت ، ومع ذلك فأن مناهج المعجميين واختلافهم تدل على استقلال عقل المؤلف العربي وقوة شخصيته ، وحبه للابداع والابتكار ، والاصـالة في عمـله .